

تفسير ابن كثير

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ^ج إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ^ج وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ^ج
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

يقول لهم أرايتم يا قوم (إن كنت على بينة من ربي) أي : على بصيرة فيما أدعو إليه ، (ورزقني منه رزقا حسنا) قيل : أراد النبوة . وقيل : أراد الرزق الحلال ، ويحتمل الأمرين . وقال الثوري : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أي : لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم ، كما قال قتادة في قوله : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر وأركبه (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) أي : فيما أمركم وأنهاكم ، إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي ، (وما توفiqي) أي : في إصابة الحق فيما أريده (إلا بالله عليه توكلت) في جميع أموري ، (وإليه أئيب) أي : أرجع ، قاله مجاهد وغيره . قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا أبو قزعة سويد بن حجير الباهلي ، عن حكيم بن معاوية ، عن

أبيه : أن أخاه مالكا قال : يا معاوية ، إن محمدا أخذ جيرياني ، فانطلق إليه ، فإنه قد كلمك وعرفك ، فانطلقت معه فقال : دع لي جيرياني ، فقد كانوا أسلموا . فأعرض عنه . [فقام متمعطا] فقال : أما والله لئن فعلت إن الناس يزعمون أنك تأمر بالأمر وتخالف إلى غيره . وجعلت أجره وهو يتكلم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " ما تقول ؟ " فقال : إنك والله لئن فعلت ذلك . إن الناس ليزعمون أنك لتأمر بالأمر وتخالف إلى غيره . قال : فقال : " أوقد قالوها - أوقائلهم - ولئن فعلت ذلك ما ذاك إلا علي ، وما عليهم من ذلك من شيء ، أرسلوا له جيرانه . وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - ناسا من قومي في تهمة فحبسهم ، فجاء رجل من قومي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يخطب ، فقال : يا محمد ، علام تحبس جيرتي ؟ فصمت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . [عنه] فقال : إن ناسا يقولون : إنك تنهى عن الشيء وتستخلي به ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : " ما يقول ؟ " قال : فجعلت أعرض بينهما الكلام مخافة أن يسمعها فيدعو على قومي دعوة لا يفلحون بعدها أبدا ، فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- به حتى فهمها ، فقال : " أوقد قالوها - أو : قائلها منهم - والله لو فعلت لكان علي وما كان عليهم ، خلوا له عن جيرانه " .ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الإمام أحمد :
حدثنا أبو عامر ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الأنصاري قال : سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب ، فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه " .هذا إسناده صحيح ، وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث : " إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم ، افتح لي أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم ، إني أسألك من فضلك " .ومعناه ، والله أعلم : مهما بلغكم عني من خير فأنا أولاكم به ، ومهما يكن من مكروه فأنا أبعدكم منه ، (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم [عنه]) .وقال قتادة ، عن عذرة عن الحسن العري ، عن يحيى بن الجزار ، عن مسروق ، أن امرأة جاءت ابن مسعود قالت أنتهى عن الواصلة ؟ قال : نعم . فقالت [المرأة] : فلعله في بعض نسائك ؟

فقال : ما حفظت إذا وصية العبد الصالح : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)
وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا جرير ، عن أبي سليمان العتيبي قال : كانت تجميعنا كتب
عمر بن عبد العزيز فيها الأمر والنهي ، فيكتب في آخرها : وما كانت من ذلك إلا كما قال
العبد الصالح : (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .